«الدرس الثاني»

إن الحمد لله نَحْمَدُهُ ونَسْتَعِينُهُ ونَسْتَغْفِرُهُ، ونعوذُ باللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا ومِنْ سَيِّئاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلا مُضِلَّ لِه، ومَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وأَشْهَدُ أن لا إلهَ إلَّا اللهُ وحَدهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وأشهدُ أن محمدًا عبدُهُ ورسولُهُ،

أما بعد:

فقد وصل بنا المقام إلى حديث عبدالله بن عمرو بن العاص الذي أخرجه مسلم في صحيحه بسنده إلى عبدالرحمن بن عبد رب الكعبة الصُدامي قال سمعت عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُما يقول قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وينذرهم شر ما يعلمه لهم» الأنبياء نصحة، وواجب عليهم أن يدلوا أمتهم على الخير، وأن يحذروهم من الشر وليس النبي هو من أوحى الله إليه ولم يأمره بالتبليغ.

فهذا الحديث نص صريح بالأمر بالتبليغ، والنبيون مهمتهم كما قال الإمام أبو جعفر الطحاوي في عقيدته المشهورة، وبعث الله النبي إليه داعين وبه معرفين، ولمن أجابهم مبشرين ولمن خالفهم منذرين.

هذه حقيقة، وهذه الحقيقة أتلمسها من الأدلة الشرعية، ومن الوقائع المشاهدة ومن الأحداث التاريخية على امتدادها أن مهمة النبيين إن قامت في قوم أبعدوا الفتنة عن أنفسهم فإن غابت جاءت الفتن تركض.

هذا حديث غريب وعجيب فيه إشارات كثيرة في آيات، ولست الآن بصدد التفصيل حتى أنهي المادة التي رسمت لنفسي خطة لأن أنهيها.

فبعد أن قرر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذه الحقيقة، وهي ليست خاصة بأمة محمد، وإنما هي عامة لجميع الأنبياء، انتقل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للكلام على أمته وهذه حقيقة يسعد بها الغرباء أمثالنا هذه الأيام، يسعد بها

الغرباء فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «وإن أمتكم هذه جعل عافيتها في أولها» العافية والخير في الأول، والأول المراد بالأول من زكاهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصحابة ومن بعدهم، ومن بعدهم هذه. قرون مزكاة على لسان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا يجوز لأحد أن ينتسب إلى غيرهم؛ لأن غيرهم معرض للخطأ والزلل، وهم آحاد وأفراد كبراء أئمة لكن النسبة ليست إليهم. النسبة إلى الجهة المعصومة المزكاة من رسول الله.

«وإن أمتكم هذه جعل عافيتها في أولها مباشرة «وسيصيب آخرها بلاء، وأمور تنكرونها» والذي ينكرها من علم نهج الصحابة والتابعين، ولذا جاء الخطاب «تنكرونها» الخطاب لمن استمع للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذا الحديث، وقد قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل أن يذكره -كما ذكرنا في الدرس الماضي- أمر أن يقال الصلاة جامعة، الصلاة جامعة. فجمع الناس وقرر هذه الحقيقة العجيبة في هذا الحديث. «وسيصيب آخرها بلاء، وأمور تنكرونها» البلاء العلماء درجوا على تقسيمات ليست حسنة، ودرج وشاعة وذاع على ألسنة الناس قالوا أشراط الساعة الصغرى وأشراط الساعة الكبرى، هذا خطأ.

ماهي أشراط الساعة الصغرى؟ قالوا أخبر عنها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ووقعت. قالوا الوسطى؟ قال ما رأيناه، ما نراه. والكبرى قال ما سننتظره.

الذي يستطيع أن يقول هذا التقسيم إذا أوقفنا عجلة الزمن، الزمن ماشي وابن كثير ومن ألف في أشراط الساعة من السابقين تقسيمهم على

أحوالهم وزمانهم، وأما تقسيمنا فما كان عنده وسطى قد يكون عندنا صغرى، ولا يستطيع أحد أن يوقف عجلة الزمن.

فالتقسيم تقول ما أخبر عنه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ووقع، ما أخبر عنه ووقع بعضه وبقي بعض منه، ما أخبر عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولم يقع هذا تفسير أضبط من أن تقول صغرى، ووسطى، وكبرى؛ لأن الوسطى في ذاك الزمان صغرى في هذا الزمان، والوسطى في هذا الزمان بعد مئة سنة تصبح صغرى بعد مئة سنة، ولا يستطيع أحد أن يوقف عجلة الزمن.

الشاهد من إيراد هذا الحديث وما نريد أن نصله بما توقفنا عنه في الدرس الماضي قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد أن قرر هذه الحقائق قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «وتجيء الفتنة فيرقق بعضها بعضا» ما معنى هذا الكلام؟ تأتي فتن، فتنة اليوم تجعل فتنة أمس رقيقة سهلة، وفتنة غد تجعل فتنة اليوم رقيقة، وفتنة بعد غد تجعل فتنة غد رقيقة، والتي بعدها تجعل التي قبلها رقيقة، وهذا مفاده أن الفتن مع مضي الزمن تشتد، كل ما مضى زمن اشتدت الفتن، وهذه حقيقة نلمسها ولكن أخبر عنها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بكلام جامع قال «حتى تأتي الفتنة فيرقق بعضها بعضا» اليوم فتن شديدة، ننتقل لفتنة بعدها تكون فتنة اليوم رقيقة، فتن يرقق بعضها بعضا، وتجيء الفتنة فيقول المؤمن هذه مهلكتي، ينتظر أن يموت ولا يفتن في دينه.

هل يجوز أن يتمنى الإنسان الموت لا، ولكن يعلق دعاءه بالموت على الصلاح أن كان صلاحه بذلك كما علمنا ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في دعاء مريم

﴿قَالَتْ يَالَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾ [مريم:23]

وكما علمنا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما صح عنه عند أحمد وغيره كان من دعائه «اللهم إني أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين، وإن أردت

بي وبقومي فتنة فاقبضني إليك غير مفتون» إن أردت بي وبقومي فتنة فاقبضني إليك غير مفتون، ولذا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يدعو الدعاء الحسن الطيب الذي أخرجه مسلم في صحيحه «اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي، واجعل الحياة سببا لي في كل خير، واجعل الموت راحة لي من كل شر» المؤمن شحيح بدينه، ولا يوجد عنده أغلى من دينه، ولذا المؤمن لما تأتي الفتن، والفتن لسان من الحديث وهو غير مذكور فيه، لسان الحال كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول غير، وبدل على ما تعلمت من دين الله تبقى ناجيا، وتدرأ الفتن عنك، وهذا الإنسان لما يرى الفتن ثابت على دينه، ثابت على مبادئه مبادئ راسخة لا يتنازل، فلم يبق له أن يقول كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد أن قال حتى تأتي الفتن «فيرقق بعضها بعضا قال ثم تنكشف ثم تجئ فيقول المؤمن هذه مهلكتي» أموت ولا أفتن، أموت ولا أغير ولا أبدل، لا تتكلم بالباطل اسكت عن الحق لك ذلك، لكن حتى مع سكوتك عن الحق، إن لم تنطق بالباطل قد تهلك، قال هذه مهلكتي.

انتبه معي قال حتى تجيء الفتنة «فيقول المؤمن هذه مهلكتي ثم تنكشف ثم تجيء» إذا ما هي طبيعة الفتنة؟ ما علمناه حذيفة، وماذا قال حذيفة؟ ماذا قال لعمر؟ وإنما أسأل عن التي تموج كموج البحر، الفتن تأتي على أمواج، وبعض أمواج الفتن طويلة كالذي يحصل هذه الأيام.

كان الله لأهل غزة، وكان الله لأهل السنة فوق كل أرض وتحت كل سماء.

فتن عظيمة. فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «يقول المؤمن هذه مهلكتي، ثم تنكشف وتجيء الفتنة فيقول المؤمن هذه، هذه» فتنة تأتي تنكشف، تأتي تنكشف أمواج، أمواج يا ليت حذيفة أخبرنا بما في جعبته، ولعله صنع وبقيت أقواله في بطون الكتب التي لم تنشر بعد، الكتب الخطية، وإن كان هنالك تصريح له بأنه ما وجد رجالا سماهم وقال عنهم ونعتهم بقوله قلوبهم من ذهب، وهذا يؤكد ما أسلفته في الدرس الماضي أن من كان قلبه من ذهب، وتعلم أحاديث الفتن ما ضرته الفتنة بإذن الله.

أخرج الإمام أبو داوود في كتابه الزهد برقم 286 بإسناد صحيح عن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ قال لوددت **لو أن عندي مائة رجل قلوبهم من ذهب فأصعد على صخرة فأحدثهم حديثا لا تضرهم بعده فتنة أبدا ثم أذهب فلا أراهم ولا يروني.**

الذي في قلب حذيفة أشياء عزيزة ونفيسة ومهمة، وأهميتها تكمن في أوقاتنا ولم تكن في أوقاتهم.

نعم هم حريصون على أن يتعلموا حديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهو أشتهى أن يقوم خطيبا على صخرة وبين يديه مئة من أصحاب القلوب النظيفة النقية والعقول المستقيمة، وأصحاب المنهج القويم فيحدثهم بحديث يبسطه له فيفهمونه ويودعونه أعماق القلوب الطاهرة، فإنه بإذن الله تعالى وتوفيقه لا تضرهم الفتنة أبدا.

فإذا الفتن أخبرنا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عنها حفظها من حفظها ونسيها نسيها، وهذه الفتن تأتي للأمة على شكل أمواج. هذا دائم. النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال «وإن أمتكم هذه جعل عافيتها في أولها» العافية في الأول التوحيد السديد والمنهج السليم، وعدم تقديم قول على قول الله عَزَّ وَجَلَّ الدين الذي نعموا به دين الوحي، وليس هو دين الفكر والعقل ﴿فَاسْتَمْسِكْ

﴿بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف:43:44] النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين للأصحاب فقال في الحديث حديث العرباض الطويل اجتزئ منه ما يلزمني في الدرس قال «إنه ما يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا ترى اختلافا كثيرا» هذا أول الداء، وقلت لكم أن الفتنة تبتدئ بالخلاف، وتنتهي بالهرج والقتل، وأول فتنة تجسدت في الخلاف مقتل عثمان، وآخر فتنة تكون في هذا الكون فتنة الدجال كما قال حذيفة رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ «إنه ما يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا» داء، مرض علاجه قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على إثره قال «فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي فعضوا عليها» أو عضوا عليهما؟ قال عليها ما في رواية عليهما.

ما معنى «فَعَضُّوا عليها» افهموا يا أيها المسلمون افهموا أن ما ثبت عن أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو من الوحي.

من أدمن على فهم أقوال السلف، ولاسيما المتعلقة بالتفسير وبالأحاديث النبوية، يتسع عنده الوحي فهما واستنباطا، وإن نطق بكلام فكلامه يبقى ثابتا يحتاجه الناس بعد مضي مئات السنين؛ لذا أهل السنة يفرحون بتقريرات العلماء الربانيين القائمة على قال الله قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والمشتغل بهذا الباب يفسح الله له ويكشف عن بصيرته ويلهمه أن يتكلم بأشياء تأتي مئات السنوات يستدلون بكلامه.

هذا كلام يفيد الخطباء ويفيد اخواننا الوعاظ، وأنت المنبر اعتصم بالكتاب والسنة اعتصم حتى يبقى كلامك صحيحا، وكيفما تقلب يبقى صالحا لكل زمان ومكان.

بمقدار قربك من الكتاب والسنة فيبقى كلامك سديدا.

سنة الله في الفتن أن بعضها يرقق بعضا، وأنها تأتي على شكل أمواج، والأمواج تأتي وتنحسر.

سبيل نجاة من الفتنة لنا المحاضرة الأخيرة إن شاء الله ستكون عن سبيل النجاة من الفتنة، وسنتعرض لقول أن صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذا الحديث قال «فمن أحب يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر وليأتي إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه» نعامل الناس في وقت الفتنة بالفضل لا بالعدل «وليأتي إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه» وسآتي بشرح هذه التتمة الأخيرة لما أتكلم عن سبيل النجاة من الفتنة.

الحديث يدل على سنن الله جَلَّ فِي عُلَاه في الفتن، وهذه السنن باقية ولا يمكن أن تتبدل ولا يمكن أن تتغير.

الدين كان في زمن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انتشر بجهود أصحابه، بركة أعمال الصحابة وسع الله عليهم فانتقل الدين مباشرة من مكة والمدينة إلى بلاد الشام ثم انتشر في زمن أبي بكر ثم انتشر في زمن عمر إلى العراق، وبينت هذا فيما مضى، وبدأ انتقال الدين وبدأ تظهر الفتن مع مضي الزمن يرقق بعضها بعضا، وتأتي للأمة على شكل أمواج.

أدرك الصحابة الذين تأخرت بهم الوفاة ألوان من الفتن، وحس بها تلاميذهم من التابعين ففزعوا إلى الصحابة.

عثمان رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ سياسته كانت تخالف سياسة عمر، كان عمر قد حبس الصحابة في المدينة عثمان أطلقهم مما اضطر علي رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ أن ينقل عاصمة الإسلام في آخر خمس سنوات من خلافته نقلها من المدينة النبوية إلى الكوفة.

فالكوفة هي العاصمة الثانية للإسلام، وسكن الصحابة رِضْوَانِ اللهِ تَعَالَى عَلَيهِم في الكوفة والبصرة، وكان عدد الصحابة في الكوفة 1540 صحابي كما قال العجلي في تاريخ الثقات، وكذلك مجموعة من الصحابة سكنوا البصرة، وكان من بين الصحابة الذين سكنوا البصرة وكان لهم دار كما في صحيح الإمام مسلم في حادثة أخرى وذكرت لكم شيئا من هذا في الدورة السابقة في مثل هذه الأيام في صفة حجة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

أشد الناس تدينا وزهدا كانوا أهل الكوفة، وابن رجب في جامع العلوم والحكم يذكر بعض الزهاد وقال كان زهده على طريقة أهل الكوفة، وإذا سمعت أنه كان زهده على طريقة أهل الكوفة فهو زهدا شديد، فكان بين الزهاد الذين شعروا بقرب الفتن الزبير بن عدي، تابعي كوفي فشاور أصحابه ماذا نفعل مما نجد من فتنة شديدة في عصره وهي من أوائل الفتن التي تخص الساسة؟ فتنة الحجاج بن يوسف الثقفي، وكان الحجاج شديدا.

الإمام الذهبي في كتابه المبارك سير أعلام النبلاء يترجم للزهاد والعباد، ويطول في تراجمه وإن جاء للظلمة والملحدين والمغيرين يجمل بكلمات قليلة ولا يطول.

فيقول الإمام الذهبي في ترجمة الحجاج يقول نبغضه ولا نحبه، نعاديه ولا نواليه لو أن الأمم يوم القيامة تخابثت أي قال الله تعالى لكل أمة أخرجوا أخبث ما عندكم قال فأخرجنا الحجاج لغلبناهم. لن نجد أخبث منه، وكان الحسن البصري لما يعظ وهو صاحب قلب حي، كان يقول لهم اتقوا الله. فلما مات الحجاج كان يقول لهم اتقوا الله فإن عند الله حجاجين كثر.

الزبير بن عدي انتقل من الكوفة إلى البصرة، ومعنا أخ فاضل من أهل البصرة سألته أمس كم المسافة بين الكوفة والبصرة؟ فخرجنا نحو ثلاثمائة كيلو إلا قليل.

رحل 300 كيلو الزبير بن عدي، ومعه بعض أصحابه والقصة في صحيح الإمام البخاري لكنها مجملة، وأخرجها الإمام البخاري في كتاب الفتن بسنده إلى الزبير بن عدي قال أتينا أنس بن مالك فشكونا إليه ما نلقى من الحجاج فقال «اصبروا فإنه لا يأتي عليكم زمان إلا والذي يليه شر منه» سمعته من نبيكم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهذا من معاني قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث السابق «حتى تأتي الفتنة فيرقق بعضها بعضا»، «لا يأتي عليكم زمان إلا والذي يليه شر منه»، «يرقق بعضها بعضا» المعنى واحد مع مضي الزمن تشتد الفتن وهذه الحقيقة كانت معروفة عند الأصحاب.

ذات يوم عبدالله بن مسعود الصحابي الجليل -كما عند الطبراني بإسناد جيد- يقول لزوجه زينب الثقفية رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهما يقول لها اليوم خير أم أمس؟ فقالت لا أدري فقال لها لكني أدري، أمس خير من اليوم، واليوم خير من غد وكذلك حتى تقوم الساعة، هذا كلام ليس من كيس ابن مسعود، وابن مسعود لا يعرفه من رأيه ومن عقله هذا كلام علماء المصطلح يقولون لا يؤخذ بالرأي هذا له حكم الرفع إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا كلام لولا أنه سمع من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نحوه ما قاله، وما استطاع وما تجرأ أن يقوله؛ فلذا قلنا أن الفتن من سنن الله عَزَّ وَجَلَّ القدرية، والواجب علينا أن نستأنس بسنة الله في قدره، بعض الناس في أوقات اشتداد الفتن يعتب على المشايخ في بعض المواقف؛ لأنهم ما قالوا ما يحقق المصلحة الخالصة.

في وقت الفتن تكفينا المصلحة الغالبة لا يمكن في وقت الشر، ووقت الفتن أن تأتي بالمصلحة الخالصة، أعني الخالصة من كل شر، وإنما مدار العلم في الموازنة بين المصالح والمفاسد في وقت الفتن أن تدور مع المصلحة الغالبة، وليست المصلحة الخالصة.

المصلحة الخالصة في أمور شخصية، في أمور لأصحاب الهمم أو في وقت العافية.. أما في وقت الشر وفي القضايا التي تنزل بالأمة لا يمكن لعاقل أن يستخلص مصلحة خالصة من كل وجه، وإنما الفتوى تدور على المصلحة الخالصة فإن عارضتني ارجع فأعد الحسابات، وانظر إلى الجهة التي أنت خالفتني فيها ولك ذلك، إن كنت من طلبة العلم ومن أهله، وقارن بين المصالح الغالبة والمغلوبة، والحق في قولك أو قولي، وأنا أتكلم على سبيل التمثيل ولا أتكلم في مسألة معينة، وإنما هذه قاعدة ينبغي أن نفهمها فهما جيدا.

وهنا حقيقة، وهذه الحقيقة ما ينبغي أن نيأس ولا يجوز لنا ذلك، وينبغي ونحن نتكلم عن الفتن أن نودع في سويداء قلوبنا حقيقة شرعية جاءت في كتاب الله وسنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأن نفهمها فهما صحيحا.

المستقبل للشرع للدين، وفي صراع الحضارات يقولون أن البقاء للأقوى والأصلح، ولذا من سنة الله في قدره، في مدافعة بين الناس وسبب المدافعة بين الناس أن يحفظ الله جَلَّ فِي عُلَاه دينه وشرعه.

نحن لا نراهن ألا تحكم البشرية بالدين لا. كلما ابتعدت البشرية عن الله احتاجت للدين، ولابد أنها ستقبل عليه في يوم من الأيام، وذكر الله تعالى هذا في كتابه فقال ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ﴾ [الحج:15] يا أيها الناس من كان يظن أن الله لن ينصر محمدا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الدنيا والآخرة، والنصرة في الدنيا في حياته وبعد وفاته ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ﴾ أي حبل ﴿إِلَى السَّمَاءِ﴾ أي إلى سقف البيت، وليقطع الحبل وليمت غيظا مشنوقا؛ لأن الله جَلَّ فِي عُلَاه لابد أن ينصر دينه كما هو معلوم.

والأدلة ثابتة في الكتاب والسنة ولست الآن بصدد سردها حتى لا أخرج عن الموضوع الذي أريده.

لكن «لا يأتي عليكم زمان إلا والذي يليه شر منه» سمعته من نبيكم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كيف نفهمه ما دام أن المستقبل الإسلام وأن الله سينصر دينه؟ يحتاج منا لوقفة، والعلماء استشكلوا هذا الحديث، ومنهم الحافظ ابن حجر وله كلام بديع وجميل وأنصح بقراءته في شرحه في كتاب الفتن من فتح الباري. والاستشكال في مواضع منها الدجال وعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أيهما قبل؟ الدجال أم عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ؟ من المتفق عليه عند العلماء في أشراط الساعة المهدي ثم بعد المهدي عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ثم الدجال. المهدي، الدجال، ينزل الله عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فيقتل الدجال «لا يأتي عليكم زمان إلا والذي يليه شر منه» عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بعد الدجال. الحديث المشكل، فبعضهم قال كلمة قال هذا «لا يأتي عليكم زمان إلا والذي يليه شر منه» خاص، مستثني لأشراط الساعة الكبرى، فخرجوا من هذا الإشكال بأن أشراط الساعة الكبرى خرجت من عموم الحديث.

قلنا الاشكال قائم، وما زال وينبغي أن نعلم أصلا نرد إليه، ومعيار يميز لنا الخير من الشر.

الإشكال: الحجاج بن يوسف الثقفي وعمر بن عبدالعزيز أيهما قبل وأيهما بعد؟ هذه حقيقة تاريخية ما فيها نزاع. الحجاج قبل عمر بن عبد العزيز.

طب «لا يأتي عليكم زمان إلا والذي يليه شر منه» مشكل. أخرج الدِّينَوَرِي أحمد بن مروان أبو بكر في كتابه المجالسة سئل الحسن البصري عن مجيء عمر بن عبدالعزيز بعد الحجاج فقال رَحِمَهُ اللَّه لابد للناس من تنفيس بين الفينة والفينة.

الله ينفس عنهم بين الحين والحين. جواب معقول لكنه يحتاج لضبط، وبسبب التنفيس بين الحين والحين سننظر بعد قليل إلى رسم بياني على الشاشة، ونفهم الأمور فهما حسنا بإذن الله.

فتشنا فوجدنا أثرا لابن مسعود وهو ثابت عنه، وهذا الأثر فرحنا به، وسبب فرحنا به أعطانا ضابطا مهما ورفع به عبدالله بن مسعود الإشكال، والإشكال غيبي وهو ليس من عندياته، وإنما له حكم الرفع.

فثبت عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ أنه قال ليس عام إلا بعده شر منه -هذا كلام النبي في البخاري عن أنس- ثم قال لا أقول عام أمطر من عام، ولا عام أخصب من عام، ولا أمير خير من أمير.

لوثة الرفض وصلت لكثير من الحزبيين، وما زالت اللوثة تتسع في الأمة.

الروافض يعتقدون أن الوالي والسلطان يجب أن يكون أفضل الناس، ولما يغيب السلطان يعطلون صلاة الجماعة، وبعضهم يعطل صلاة الجمعة.

أنا أذكر اخواني ممن هم في جيلي أو أكبر مني أن الروافض لا يصلون الجمعة.

متى بدأ الروافض بصلاة الجمعة؟ لما خرج لهم الخميني من فرنسا.

الخميني بضاعة فرنسية، والبضاعة الفرنسية بضاعة من أخبث البضائع على الإطلاق.

لا يُعرف خبث كخبث الفرنسيين،

عند أهل السنة هل يلزم الإمام الأكبر أن يكون أفضل الخلق وأتقاهم؟ لا. هل يجوز عند أن يصلي المفضول بالفاضل؟ يجوز، والدليل ما ثبت في الصحيحين أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صلى خلف أبي بكر.

النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مرض وفاته صلى خلف أبو بكر، وأبو بكر بالنسبة لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مفضول. أين النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أبي بكر!

الروافض لا، وكثير من الحزبيين هذه الأيام يعلقون المفاضلة بين الشعوب والمفاضلة بين الدول بالحكام، وهذه مفاضلة خاطئة، والدليل على خطأها تتمة كلام عبد الله بن مسعود، وبعد أن أقرأ كلام عبد الله ابن مسعود سأرجع إلى عمر بن عبد العزيز وإلى الحجاج.

قال ابن مسعود ليس عام إلا والذي بعده شر منه لا أقول عام أمطر من عام ولا عام أخصب من عام ولا أمير خير من أمير، لكن ذهاب علمائكم وخياركم ثم يحدث أقوام يقيسون الأمور بآرائهم فيُهدم الإسلام ويندرس.

عندما تترك الوحي، تترك قول الله قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال الصحابة وتشغل عقلك ورأيك ينهدم الإسلام، ويكثر الخلاف ووصلنا لحالة من أعجب الحالات التي ما حصلت من قبل. أي مسألة كثير من الناس يسألون عنها يقولون في المسألة خلاف، يحتجون بالخلاف فيها هذا جواب؟ الجواب ما تقول فيها الخلاف؟ تقول الجواب وكذا والدليل وكذا.

أما تحتج بالخلاف في المسألة؟!

فالشاهد أن معيار التقدم والتأخر ذهاب العلماء والخيار.

ارجع لعصر الحجاج، وعصر عمر بن عبدالعزيز هل يوجد صحابة في عصر الحجاج؟ كثر. هل يوجد صحابة في عصر عمر بن عبد العزيز؟ لا. عصر الحجاج أحسن من عصر عمر بن عبد العزيز

طبعا سيتقول علي بعض الناس زورا وبهتانا وتكذيبا فيقولون أنا أقول أن الحجاج أحسن عمر بن عبدالعزيز كما فعلت الرافضة، تخرج الفتن ها هنا، قال فأشار إلى نحو بيت عائشة فالروافض قالوا أشار إلى بيت عائشة.

عائشة ما سلمت، أنا سأسلم؟! لن أسلم. أنا أقول وأعيد أن نمط الحياة والقواعد المتبعة في عصر الحجاج في استنباط الأحكام وفي قربها مما يحب الله ويرضى أحسن من النمط الذي كان في عصر عمر بن عبدالعزيز، ولذا قلت لكم تلك القاعدة التي أعيدها للمرة الرابعة، والأدلة عليها متضافرة قلت لكم أن

موقع علماء أمة محمد من أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **يساوي موقع أمة محمد** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **بين سائر الأمم.**

موقع العلماء في زمن الحجاج كبير.

لم سكت أنس؟ لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمره بالسكوت، وسيأتينا الأمر في التدابير الوقائية للفتنة، والتدابير الوقائية في الفتنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمرنا أن نصبر عند الأثرة، لاعتبار المصلحة العامة ولا نحصل المصلحة خالصة.

هذا منهج نبوي في وقت الفتن أن نبحث عن المصلحة العامة لا عن المصلحة الخاصة.

فإذا معيار التقدم والتأخر في الأمة.. العلماء.

العلماء الذين يأخذون الشرع من خلال الوحي، ودينهم دين وحي، وليس دين رأي ودين عقل. الغالب على المسلمين اليوم دينهم دين فكر ليس دين وحي، دين رأي وفكر، ولم يبقى إلا ثلة من أهل الحق الذين ينادون بقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ﴾ [الزخرف:43] الذين يعملون على نشر الوحي.

فإذا هناك معيار ترد له الأمور، وهذا المعيار هو الذي يعرف من خلاله المحق والباطل.

فمن استسلم للنص واتسع قلبه وعقله لورود النص كما صنع أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ فهو على خير، وهو على حق.

تخيل معي في حادثة الإسراء أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ سمي بعدها بالصديق رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ قالوا له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذهب إلى بيت المقدس، وعرج به إلى السماوات السبع ورجع في نفس الليلة. كتب السيرة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ باغته أبو جهل فقال صاحبك يزعم أنه ذهب لبيت المقدس وعرج؟ قال أصدقه بأكثر من ذلك، أنا أصدقه

بالوحي، فيقول أبو جهل يقول لو جمعت لك الناس تخبرهم بهذا؟ أبو جهل أعتقد أنه هذا المقتل خلاص، تخبرهم بهذا؟ هذا أمر العقل لا يحتمله لكن النبي فصل أنه جاءه البراق، وانتقل إلى بيت المقدس بالبراق وانتقل إلى السماوات السبع بالمعراج إلى آخر الحديث، ولست الآن بصدد الكلام عن الإسراء والمعراج، لكن المقصد أن الوحي هو الأصل، وأن العقل والقلب ينبغي أن يستسلم لما جاء في النقل، وبهذا نصرتنا وبهذا عزنا، والشاهد أن الأمة على خير وسبب النجاة من كل فتنة بإيجاز شديد جدا، في وقت الفتنة المعيار العلماء والفضلاء والكبراء.

أعطيكم شيئا، وهي نصيحة غالية لأخوة أحبهم وما ينبغي أن ينسوها.

في وقت الفتنة إذا أردت أن تنجو منها اعرف العلماء الربانيين الكبار وما هو موقفهم من الفتن، وامشِ ورائهم.

إذا أردت أن تحفظ دينك، وأن تسلم من الفتن وشرها.

وإذا أردت أن تغوص في الفتنة للركب ابقى استمع للإعلام، والإعلام يوزع الأدوار حتى ما يكون للناس موقف واحد.

توزيع الأدوار فلان معه، وفلان ليس مع.. هذا مما نُص عليه في بروتوكولات حكماء صهيون، ليبقوا الناس في حيرة ويخرجوا الناس من كل يقين، ولم يبقى مع اليقين إلا أصحاب الوحي، والذين يستدلون بقال الله قال رسول الله، وما عدا عن ذلك إذا أردت أن تخوض في الإعلام، وأن تعرف الموقف من خلال سماع الأخبار عبر وسائل التواصل فستزداد الفتنة بالنسبة إليك.

أنت أمام طريقين: طريق النجاة أن تعرف موقف العلماء الكبار من خلال هذه الفتن، وتسير وراءه هذا أسهل طريق، طريق سهل ميسور.

تقول هذا العالم الرباني الذي لا يقدم قول أحد على قال الله، وعلى قول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جرب تجد، وافحص حال العلماء وحال كلامهم، النوازل والفتن التي جرت تجد الكلام صحيحا.

إذا نريد أن نرسم بيانا مستقى من جملة أخبار فاجتهدت بوضع رسم بياني فننظر إليه، وأعلق عليك بتعليقات مجملة ومهمة حتى تثبت هذه الحقيقة في قلوبنا وعقولنا، فنحن لا نطمع بأن نحقق المصالح على وجه

التمام والكمال، ونطمع بالمصالح الغالبة ولا نيأس ولابد لدين الله عَزَّوَجَلَّ أن ينتشر.

أوجز لكم والمعقول غير المحسوس، وكنت أريد أن أنقل المعقول إلى المحسوس، وأرجو الله تعالى يظهر المحسوس، وهكذا علمنا ربنا تعالى في ضرب الأمثال كما بيناه في دروس الأمثال.

المعقول، النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بلغ الدين غايته ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾ [المائدة:3] عجيبة الآية ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ نعمة الله عَزَّوَجَلَّ آية عجيبة. لما نزلت هذه الآية بكى عمر وقال **ما بعد التمام إلا النقصان** بعد هذه الآية نقصان، والنقصان في أهله ليس في ذاته، فالدين تمامه في عهد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم أخذ بانحراف يسير، نقصان والانحراف ينزل إلى عصر الخلفاء الراشدين الأربعة، ولا يمكن للمتأخرين أن يكون دينهم كدين الخلفاء الراشدين الأربعة، ولا سيما الدين في عهد أبي بكر وعمر، فنمط الدين ونمط الحياة مربوط بالدين على نمط الذي كان في زمن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

بعد الخلفاء الراشدين الأربعة يبدأ البيان بالانحدار، ولكن هذا الانحدار لا يكون من الأعلى للأسفل على وتيرة واحدة، وإنما ينزل ثم يصعد ثم ينزل ثم يصعد ثم ينزل ثم يصعد، والصعود لا يصل إلى درجة الخلفاء الراشدين الأربعة، والمراد حياة الناس بالدين، وتطبيق الناس للدين، وإلا فالدين كامل في مبادئه وأصوله.

فيبقى في صعود ونزول، وسبب الصعود قول الحسن البصري لابد للناس من تنفيس بين الحين والحين.

بين الحين والحين الله عَزَّوَجَلَّ ينفس على الناس، ويؤلف القلوب ويجعل أهل الديانة في خير وعافية، وتبقى الأمور على هذا الحال.

فالصعود هو نصرة للشرع ونحن نتكلم عن الفتن لابد أن نتكلم لكم عن نصرة الله، ومعنى النصر في كتاب الله؛ لأن الناس لا يفهمون النصر الفهم الشرعي الصحيح.

نصر الشرع، نصر الله عَزَّوَجَلَّ للدين تحتاج منا إلى وقفات، ومن أهم هذه الوقفات أن تقرأ قول الله عَزَّوَجَلَّ ﴿إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة:40] الآية عجيبة.. هم في الغار منصورون؟ نعم في الغار منصورون. نصره الله. كيف يكون من في الغار منصورا؟ قال أهل العلم من ترسم أسباب النصر في بداياته فهو منصور.

من ثبت على الحق فهو منصور.

هذه الآية نزلت والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خارج من مكة إلى المدينة، فالمشي للمدينة وتمكين الله للمؤمنين في المدينة، وقيام دولة الإسلام في المدينة مقدمات، الخروج للهجرة مقدمات، فمن بدأ بالمقدمات مقدمات النصر فهو منصور.

من ثبت على مبادئه التي وردت في كتاب الله وسنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منصور.

فالإسلام منصور على كل حال.

هل المسلمون منصورون على كل حال؟ لا. وحتى تفهم وتميز بين الأمرين انظر إلى معركة أحد من الذي انتصر في معركة أحد؟ الإسلام، ومن الذي هزم في معركة أحد؟ المسلمون.

انتصر الإسلام؟ نعم. سبب هزيمة المسلمين، خالفوا أوامر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلو ما خالفوا أوامر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لظهر النصر.

فاذا النصرة في اتباع أوامر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فخالفوا فذهب النصر، فثبوتك على ما ورد في الشرع، وقولك كما أخبرنا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث عبدالله بن عمرو الذي سمعتموه «حتى تجئ الفتنة فيقول المؤمن هذه مهلكتي» ولا تغير ولا تبدل، أنت منصور، والدنيا كلها تحسب لك ألف حساب، وإذا بعت واشتريت وغيرت وبدلت، ومقابل مصالح أنت من أهل الدنيا، لكنك تاجر دين، وهناك بعض التجار محترفين في الدين.

تاجر محترف يفاوض الآخرين. فثباتك نصر وهذه قضية مهمة جدا، ونبدأ إن شاء الله تعالى في درسنا القادم برؤية البيان الذي فيه في حال الإسلام في آخر الزمان أو حال الإسلام من زمن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى العصور المتأخرة، وفق ما ورد في مجموع الأدلة هذا والله أعلم.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.